

دروس مستوحاة من زمن كورونا

منى الباكوري
أستاذة علم النفس الاجتماعي بكلية الآداب و العلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس- الربط

المجلة المغربية لعلم النفس – 2021/01/05

زمن كورونا مختلف عما قبله، و سيكون بالتأكيد مختلفا عما بعده. زمن كورونا هو زمن استثنائي فرض علينا تغييرات جذرية في سلوكياتنا و عاداتنا و علاقاتنا بمن حولنا، بل و حتى بالزمان و المكان. فرضت علينا هذه الجائحة و التدابير التي اضطرت اليها حكوماتنا للحد منها تحديات صعبة و ضغوطات نفسية لم يسلم منها أحد، مع أن آثارها كانت متفاوتة حسب ظروف و خصائص كل واحد منا. لكن ما يميز زمن كورونا أيضا هو أن هذه الجائحة فرضت علينا أن نخرج من أطر السلوك و التفكير الاعتيادية و أن نتفاعل مع بعضنا البعض في اطار سياقات استثنائية... أطروحة هذا المقال هي أن جائحة كورونا غيرت بشكل جذري السياقات و الظروف الاجتماعية التي نتحرك فيها، و أن هذه السياقات الجديدة وفرت عوامل نفسية ملائمة لانتعاش سلوكيات التضامن و أحاسيس الانتماء و التماهي الاجتماعي، مما يشكل فرصة - اذا احسنا التدبر في ما يميز هذه الظروف - لكي نحيي القدرة على التضامن و العمل الجماعي فينا. بالتحديد، سنحاول فهم و تحليل هذه العوامل النفسية-الاجتماعية الخاصة التي توفرت في زمن كورونا، و التي أدت في لحظة معينة الى انتعاش تلقائي لأشكال متعددة من التضامن و الإحساس بالانتماء و المسؤولية شهدناها خاصة في بداية هذه الازمة، و أن نستفيد من هذا التحليل في محاولة لكي نوجه أنفسنا في زمن ما بعد الجائحة حتى نسترجع عوامل اللحمة الاجتماعية في مجتمعنا.

ما هي هذه العوامل النفسية-الاجتماعية التي توفرت في زمن كورونا و غيرت علاقتنا بالآخر ؟

شكل مرض كوفيد 19 أزمة صحية عالمية غير مسبوقه بفعل انتشاره السريع و الغموض حول أصله و سبل علاجه أو الحد من وتيرة انتشاره. دفعت هذه الازمة العديد من دول العالم الى اتخاذ إجراءات صارمة و فرض قيود عدة، كان الحجر الصحي أصعبها و أكثرها تأثيرا على سيكولوجية الأشخاص و نمط حياتهم و وضعهم الاقتصادي و المادي. غيرت الازمة و الإجراءات التي رافقتها حياتنا بشكل لم يكن يتصوره أحد و فرضت على الأشخاص تغييرا على نطاق واسع في سلوكياتهم و فرضت عليهم أن يقوموا في وقت قصير جدا بتكيفات سريعة همت مجالات مختلفة من حياتهم، لكن غيرت أيضا تمثلهم للعالم من حولهم.

كيف غيرت هذه الظروف الاستثنائية تمثلنا للعالم و للآخرين من حولنا؟ لعل من أبرز سمات زمن كورونا أننا أصبحنا جميعا ندرك وجود خطر يهددنا، أصبح واقعا يذكرنا في كل لحظة أننا كلنا، غنينا و فقيرنا، تحت تهديد فيروس لا يرى بالعين، فيروس يهدد ليس فقط صحتنا بل أنظمتنا الاجتماعية و الاقتصادية. لكن ما يميز زمن كورونا ليس هو الإحساس بالخوف أو التهديد في ذاته- فهذا إحساس قد ينتاب كلا منا بشكل فردي في الظروف العادية- بل كون أننا أصبحنا نواجه نفس التهديد مع كل من حولنا؛ كون الإحساس بالخوف و التحدي الذي يواجهنا

هو معمم و مشترك على نطاق واسع. فحتى خارج زمن كورونا يحس كل واحد منا بتخوفات و يواجه تحديات عدة، لكنها تكون عادة شخصية، اما فردية أو مشتركة مع أشخاص تربطنا بهم علاقات شخصية، في حين أننا في زمن كورونا نتشارك هذا التحدي الذي يواجهنا مع أشخاص لا تربطنا بهم أي علاقة أو معرفة شخصية. عموماً، فإن السمة البارزة لزمن كورونا هي أنه جعلنا ندرك أننا نشترك مع أشخاص آخرين كنا نعددهم غرباء، مستقلين عنا في انشغالهم و اهتماماتهم، في مواجهة نفس الشيء. أصبحت لدينا أهداف مشتركة و مصير مشترك معهم و أصبح كل شيء من حولنا يذكرنا أننا في نفس السفينة. الحد من انتشار المرض هو مسؤولية مشتركة، و نجاح الإجراءات رهين بسلوك كل واحد منا، و إيجاد لقاح هو حلنا جميعاً، و احتمال إصابة كل فرد متعلق بأعداد الإصابات بدولته، و مدينته، و منطقتة، و عائلته... لقد أصبحنا بسبب هذا الوباء و بما فرضه علينا على من تغيرات في سلوكياتنا و في أولوياتنا على و عي أكثر من أي وقت مضى بأننا أجزاء من جماعات أكبر منا، و بأن مصير كل واحد منا هو مرتبط بمن حوله.

هذا الوعي بارتباط المصير و ادراك الأشخاص حاجتهم لبعضهم البعض، هو حسب العديد من الباحثين في علم النفس الاجتماعي الشرط الضروري و الكافي لتحول مجموعة من الأشخاص الى جماعة سيكولوجية؛ فمواجهة المصير المشترك هي وضعية اعتماد أو ارتباط متبادل *Une situation d'interdépendance*، و هي وضعية تجعل الأشخاص من الناحية الموضوعية في حاجة أكبر لبعضهم البعض، كما تجعلهم من الناحية السيكولوجية يغيرون اتجاهاتهم و مواقفهم نحو بعضهم البعض، و يكثرثون أكثر بما يحدث لبعضهم البعض، بل ان وضعيات الاعتماد المتبادل هذه هي حسب عدة باحثين (Flippen, Hornstein, Siegal, & Weitzman, 1996; Rabbie & Horwitz, 1988; Hornstein, 1972; Horwitz & Rabbie, 1982; Rabbie & Horwitz, 1988) لتحول مجموعة من الافراد المستقلين الى جماعة سيكولوجية. لتوضيح هذه الفكرة يدعونا الباحث رابي (Rabbie, 1986; Rabbie & Lodewijkx, 1987) الى التفكير في المثال التالي : فلنتصور مجموعة من الأشخاص يستعملون نفس ماركة معجون الأسنان في بلد معين، أكيد أن هذا العدد الكبير من الأشخاص لا يكثرث أي منهم بالآخر بل و لا يعرف حتى وجوده من عدمه، و لنتصور كيف سيتغير ادراك هؤلاء الأشخاص لأنفسهم و كيف ستتغير سلوكياتهم تجاه بعضهم البعض عندما تعلن جهات رسمية أن معجون الأسنان هذا به مواد سامة؛ كيف سيتحولون من أفراد منفصلين سيكولوجياً عن بعضهم البعض، الى أعضاء في جماعة لها نفس الهدف و تواجه نفس المصير، مدفوعين الى التعاون و الدعم المتبادل، و مجتمعين حول الدفاع عن مصلحتهم الجماعية و المطالبة بحقوقهم.

بينت عدة دراسات تجريبية و ميدانية دور هذا العامل الراجع الى السياق الاجتماعي، و المتمثل في مواجهة المصير المشترك، في تقارب الأشخاص سيكولوجياً من بعضهم البعض و انبثاق هويات جماعية بين أشخاص لا تجمعهم أي علاقة شخصية سابقة، كما بينت ما يترتب عن مثل هذه السياقات من انتعاش في سلوكيات التضامن، و من تعزيز بناء العلاقات الاجتماعية حتى بين الغرباء. فبالنسبة للدراسات التجريبية، وجد رابي (Rabbie, 1963) أن الأفراد في وضعية تجريبية تجعلهم تحت تهديد مشترك لتعريضهم لصدمة كهربائية يظهرون ميلاً أكبر لصحبة بعضهم البعض. و في نفس الصدد، وجد اخرون (Dovidio & Morris, 1975) أن وضعيات

المصير المشترك تؤدي إلى الرفع من سلوك المساعدة، و أن احتمال تقديم المساعدة يزيد عندما يرتفع الضغط أو التوتر النفسي الذي يواجهه الشخص، حيث بينت النتائج أن المشاركين الذين تم وضعهم تحت ضغط مرتفع (مقارنة بوضعية تجريبية أخرى يضعف فيها هذا الضغط) يقدمون مساعدة أكبر إذا كان المتلقي المحتمل للمساعدة هو في نفس وضعية الضغط.

من جهة أخرى قام باحثون آخرون (Warner, Wohl & Branscombe, 2014) من خلال سلسلة من التجارب بدراسة تأثير تذكير مشاركيهم بوضعيات كانوا فيها هم أنفسهم مضطهدون و يعانون، على احساسهم بواجب المساعدة و تخفيف المعاناة تجاه أشخاص ينتمون الى جماعات أخرى في حاجة للمساعدة. في إحدى التجارب التي قام بها هؤلاء الباحثون (التجربة الثانية في المقال) قسموا مشاركيهم اليهود الى مجموعتين، و قاموا بتذكير المشاركين في إحدى المجموعتين، أي المجموعة التجريبية، بالمعاناة التاريخية لليهود. بعد ذلك قاموا بقياس مدى استعداد المشاركين لتقديم المساعدة لأفراد من جماعات أخرى (السودانيون الذين يتعرضون للإبادة الجماعية في دارفور، و الناجون من الزلزال الصيني) ووجدوا أن المشاركين الذين كانوا في الوضعية التجريبية، أي الذين تم تذكيرهم من قبل بمعاناة اليهود، أظهروا التزامًا أكبر بمساعدة أفراد هذه الجماعات الأخرى. عموماً تبين هذه النتائج أن الوضعيات الاجتماعية التي يدرك فيها الأشخاص تشاركيهم في المصير تؤدي الى قرب سيكولوجي و اكرات و تماهي أكثر مع حاجات أشخاص آخرين في غياب أي علاقة سابقة بهم.

من جهة أخرى، و إضافة الى هذه الدراسات التجريبية، بينت الدراسات الميدانية التي اهتمت بفهم كيف تؤثر الكوارث و الأوبئة و حالات الطوارئ على سلوكيات الأشخاص و اتجاهاتهم نحو بعضهم البعض أن السمة البارزة لهذه الوضعيات -وهي كلها وضعيات تربط مصائر غرباء ببعضهم البعض - هو انتعاش سلوكيات الدعم و المساعدة المتبادلة و التعاون بين المتضررين، بل أيضا بين المراقبين غير المتضررين و الضحايا. ففي دراسة عن حالة الطوارئ و الاخلاء السريع الذي نتج عن تفجير مركز التجارة العالمي عام 1993، ركز الباحثون

(Aguirre, Wenger, and Vigo; 1998) على ادراك الأشخاص للتهديد على حياتهم و على كيفية تفاعلهم معه، و بينت نتائجهم غياب حالات موثقة لسلوكيات الانانية عكس ما تروج له الثقافة الشعبية من شيوع الأنانية و الفزع و عدم الاكرات بالآخر في مثل هذه الظروف، كما بينت أن عملية الإخلاء كانت منظمّة و يطبعها التعاون. من جهته، و بعد عدد من الدراسات الميدانية عن حالات الطوارئ و الكوارث الطبيعية كتفجيرات لندن لعام 2005 و زلزال تشيلي لعام 2010، اقترح الباحث دروري نموذجا للمواجهة الجماعية collective resilience يعتبر أن الشعور بالمصير المشترك هو مصدر تكون هوية جماعية مشتركة بين المتضررين، و أن هذه الهوية المشتركة هي التي تقود الى تقديم الدعم الاجتماعي للآخرين الذين يواجهون نفس المصير (Drury ; 2018).

و في سياق آخر، اهتم الباحث كانياستي و زملاؤه (مثلا 2004 ; Kaniasty & Norris, 1999) بدراسة كيفية مواجهة أشكال مختلفة من الكوارث و الازمات- كالكوارث الطبيعية و الكوارث التكنولوجية و أعمال الإرهاب الشامل - باعتبار أن ما يجمع هذه الأحداث المختلفة هو كونها ليست أحداثا فردية بل أحداثا تقع على مستوى المجتمع المحلي و تجلب الأذى و الضرر لعدد كبير من الأشخاص الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض. و

بالاعتماد على مسح واسع لعينات تمثيلية من ناجين من كوارث طبيعية كالأعاصير والفيضانات ، استطاع كانياستي و زملاؤه (Kaniasty & Norris, 1999 ; Kaniasty, 2012) تقييم مدى حصول المتضررين على الدعم و بينوا أن سلوكات المساعدة المتبادلة تكون شائعة خاصة في المرحلة التي تلي حدوث الكوارث مباشرة. تبين هذه الدراسات أن مثل هذه الوضعيات التي يواجه فيها غرباء نفس الخطر، هي وضعيات تشجع على نشأة الهويات الجماعية و تؤدي الى انتعاش سلوكات التضامن و التنسيق في غياب أي علاقات بين-فردية و معرفة سابقة، مثل سلوكات تشارك الموارد و تقاسم الإمدادات و عمليات الإنقاذ المنسقة و تقديم المساعدة و الدعم لمن هم في خطر أو في حاجة ملحة للمساعدة. كما تبين العديد من هذه الدراسات أن السيرورة السيكولوجية التي تمكننا من التنبؤ بظهور سلوكات المساعدة و التنسيق و التعاون هي قوة الهوية الجماعية التي تنبثق في مثل هذه المواقف و الوضعيات

(Drury et al., 2016)، و أن قوة هذه الهوية الاجتماعية هي في نفس الوقت عامل محدد لمدى قدرة الأشخاص- سواء أولئك الذين يقدمون الدعم و المساعدة أو الذين يتلقونه- على المواجهة و على تخطي هذه الازمات بأقل الأضرار النفسية الممكنة. فمثلا، بينت دراسة (Koyama & al., 2014) استجوبت 281 من ضحايا كارثة تسونامي الذين فقدوا منازلهم - أن الأشخاص الذين يمرون بوضعيات الأزمات و الكوارث بأقل الخسائر النفسية هم الأشخاص الذين لهم علاقات اجتماعية قوية ، أي الأشخاص الذين يعتبرون أنهم جزء من شبكات تضمن الدعم و المساعدة المتبادلة.

انتعاش سلوكات التضامن و التعاون: تغيرات عشناها في فترة الحجر الصحي

ان هذا الوعي بارتباط مصائرنا بعضنا ببعض *L'interdépendance de destin* الذي لمسناه في زمن كورونا، جعل فعلا أشكال التضامن و التلاحم تبرز من حولنا، خاصة في الشهور الأولى التي تلت ظهور الجائحة، و جعل العديد منا يدرك نفسه و يتصرف، ليس كفرد متمركز حول نفسه و أسرته الصغيرة كما اعتاد، بل كجزء من كيانات أكبر (حيه و منطقته و مدينته، و دولته بل و الانسانية جمعاء) تربط بين أجزائها علاقات و واجبات. من سمات أزمة كورونا أنها سلطت الضوء على الجماعات التي ننتمي إليها: عائلاتنا، مجتمعنا المحلي، مدينتنا، بلدنا، منطقتنا... أصبحنا على وعي أكثر بأن نجائنا و نجاحنا هو رهين بنجاة من حولنا ، و أن تحركاتنا و أفعالنا لا تؤثر فقط علينا بل أيضا على من حولنا و على الكيانات التي ننتمي إليها. أدركنا أيضا أن مجهودا بسيطا نقوم به بدافع الاعتناء بمن هم من حولنا يجعلنا نحس أننا أقدر على المواجهة و أننا فاعلين في محيطنا و ليس مفعول بنا، و كم كنا بحاجة الى هذا الإحساس في هذه الفترة. لقد أعطتنا هذه الازمة فرصة كي نعي أننا أجزاء من أنظمة مترابطة، لكل جزء فيها تأثير على الأجزاء الأخرى، في حين أننا اعتدنا أن نفكر في أنفسنا و نتصرف كأفراد يحاول كل واحد منهم أن يجد حلا لنفسه.

بالإضافة الى التغيير الذي أحدثته هذه الازمة في ادراكنا لذواتنا، غيرت أيضا سلوكياتنا، و لو أن ذلك لم يستمر طويلا بنفس القوة. مع ظهور الوباء و فرض حالة الطوارئ و الحجر الصحي، كان هناك سيل من التضامن الجماعي في جميع أنحاء العالم. عاينا جميعا، خاصة في فترة الحجر الصحي كم تداولت مواقع التواصل

الاجتماعي أشكالاً مختلفة من التعبيرات العفوية و الغير منظمة للتضامن و المساعدة المتبادلة بين أشخاص لا يعرفون بعضهم بعضا بشكل شخصي و لا تربطهم أي علاقة سابقة. و رأينا أشكالاً من التعبير عن الانتماء و التأزر بين أشخاص لم تكن تجمعهم معرفة شخصية سابقة (سكان نفس الحي مثلا) لكنهم شعروا و تصرفوا في هذا الظرف الخاص كأنهم وحدة مترابطة، كأنهم مسؤولون عن بعضهم البعض و معنيون بمصير بعضهم البعض. كما لاحظنا أن هذا التضامن لم يكن مقتصرًا على دول تسود فيها المعايير الدينية التي تحت على الغيرية، بل كان حاضرا حتى في المجتمعات التي نعتها عادة بأنها المثال الحي عن الفردانية.

لقد وثقت وسائل التواصل الاجتماعي و كذا بعض وسائل الاعلام اشكالا متعددة لهذا التضامن الذي ظهر كاستجابة عفوية لأزمة كورونا و التي شهدناها في المغرب وفي مختلف دول العالم بشكل متفاوت. فمثلا، عنونت مجلة لاجارديان البريطانية The Guardian الرائدة أحد مقالاتها: 'تكوين فرق للمساعدة المجتمعية في جميع أنحاء المملكة المتحدة وسط أزمة فيروس كورونا: عشرات الآلاف يتطوعون لشراء أو إيصال الأدوية للمواطنين في وضعية هشاشة الموجودين في العزل' ، و هو مقال توثق فيه بالأرقام انتشار بعض الأشكال المحلية والعفوية للتضامن(Booth, 2020). ظهرت أيضا خلال الأزمة أشكال عدة لتنسيق الجهود والتعاون على مستوى الحكومات و الدول مكافحة انتشار المرض. و في المرحلة الأولى لظهور الفيروس في الصين، تلقت هذه الخيرة امدادات طبية من 21 دولة، و قامت بدورها في فترة لاحقة برد الجميل و بعث امدادات الى عدد كبير من دول العالم (Van Bavel& al, 2020).

لقد اكتشفنا أننا قادرين على التضامن أكثر مما كنا نتصور، و أن هناك شيئا بداخلنا يجعلنا مستعدين لتقديم العون لمن هم في أمس الحاجة اليه و يجعلنا نستنكر أن يمتنع من في استطاعته ذلك أن يقوم به. و قد رأينا كم استنكر الايطاليون و العالم كله، تخاذل الاتحاد الأوروبي في تقديم المساعدة لإيطاليا، و كم تراجعت صورته و درجة التماهي معه و كم تحسنت في المقابل صورة الصين بسبب أنها قدمت العون لبعض الدول المحتاجة للمساعدة. و قد بينت نتائج مسح تم في هذه الفترة عن رغبة الأوربيين في تقارب أكبر مع الصين، و عن تراجع في صورة الاتحاد الأوروبي لديهم.

الدروس المستفادة

وضعتنا هذه الأزمة الصحية في ظروف صعبة للغاية لا شك، لكنها أعطتنا في نفس الوقت فرصة فريدة للوعي بالارتباط الذي ينظم حياة البشر. فمع اننا موضوعيا دائما في حاجة للآخرين و وارتباط متبادل معهم، الا أننا قليلا ما نعي درجة هذا الارتباط المتبادل، خاصة مع نمط العيش الحديث الذي يجعلنا متركزين حول ذاتنا و مشاريعنا الشخصية. من الناحية النفسية الاجتماعية، هذه الظروف التي عشناها كانت محفزا لنا، و لو بطريقة اضرائية، لكي ننتبه أكثر لبعضنا البعض، و نخرج من تركزنا على أهدافنا و مآربنا الشخصية و نضع مكانا للآخر و للأهداف الجماعية في حياتنا.

اننا في الواقع دائما في حاجة للآخرين و في ارتباط متبادل معهم لأننا كائنات تحتاج من الناحية الذاتية للصلة و الانتماء و من الناحية الموضوعية تتقاسم نفس الموارد الطبيعية و مسؤولة على نفس الفضاء الذي يؤوبنا جميعا.

و لكننا قليلا ما نعي درجة هذا الارتباط المتبادل، لأننا نفتقد في حياتنا اليومية الى مثل هذه الفرص التي تسمح لنا بالوعي بأهمية العلاقات و الصلة الاجتماعية في حياتنا و بارتباط مصائرنا و أهمية تعاوننا و تكافلنا، رغم أن العلم و الدين يتفقان على اقناعنا أننا موضوعيا لا خلاص لنا الا بالاكتراث بمصير بعضنا البعض.

مع أن الظروف الاستثنائية التي خلقتها كورونا تسببت في اكرهات و مأس عدة، الا أنها كان لها أثر جانبي إيجابي، و هو هذه الفرصة الفريدة أن نستعيد قدرتنا الطبيعية على إعطاء مكان للآخر في حساباتنا و أهدافنا. كل شيء أصبح في زمن كورونا يذكرنا أننا في نفس السفينة مع أشخاص لا تربطنا بهم أي علاقة شخصية، لكن لدينا أهداف جماعية و مصالح مشتركة معهم؛ فالحد من انتشار المرض أصبح مصلحة مشتركة و مسؤولية الجميع، وأصبح كل واحد منا مسؤول من خلال سلوكاته على نجاعة الإجراءات المتخذة و التي تؤثر بدورها على تشديد التدابير أو التخفيف منها... أن تواجه أنت و أشخاص آخرون لا تربطك بهم أي علاقة شخصية نفس التحدي، أن يكون نجاحهم من نجاحك و ضررهم من ضررك، هذه التجارب هي من الناحية السيكلوجية نقطة البداية لنشأة الجماعة المترابطة المتضامنة، و لنجاح العمل الجماعي الذي هو أساسي للعيش المشترك. لكن، لأن مثل هذه السياقات أصبحت نادرة في حياتنا اليومية و في ظل نمط العيش القائم على التحقيق السريع للأهداف و المشاريع الشخصية، تراجعت قدرتنا الطبيعية على خلق مكان للآخر في حساباتنا و مشاريعنا، لدرجة أننا أصبحنا مقتنعين أننا بطبيعتنا لا نكثرث الا بذواتنا، و في أفضل الحالات بأقاربنا المقربين، في حين أن التضامن و الاكتراث بالآخر و السلوكات الغيرية هي أبسط و أقرب لطبيعتنا مما نتصور. فالعديد من الأبحاث خاصة فيما أصبح يعرف اليوم بعلم الأعصاب الاجتماعية *Neurosciences sociales* تبين خطأ التصور القائل بأن الانسان بطبيعته هو كائن متمركز على ذاته و مصلحته الشخصية، غير مكترث بالآخر الغريب عنه ، و تصب في تصور مخالف يرى أننا مزودون طبيعيا بما يجعلنا نكثرث بالآخر و لدينا استعداد طبيعي لمساعدته و رفع الضرر عنه و الاستجابة له عندما ندرك حاجته إلينا.

العلاقات الاجتماعية القوية تبنى من خلال الاستجابة المتبادلة لحاجات الناس لبعضهم البعض، و من خلال وعيهم بحاجتهم لبعضهم البعض و ما ينتج عنه من تعاطف، و تضعف كلما أحسوا أنهم في غنى عن سواهم و انشغلوا بأنفسهم. في مجتمعاتنا المعاصرة، و في ظل ثقافة الإنتاجية و الكفاءة و السرعة التي تهيمن عليها، تقل الوضعيات التي تجعلنا نكثرث بالآخر و نوطد علاقات معه و عادة ما تبقى الاستجابة المتبادلة لحاجات بعضنا البعض و تجربة التعاون و التضامن محدودة جدا و في أحسن الحالات مقصورة على دائرة قصيرة، تضم أسرنا و أصدقائنا المقربين. في زمن كورونا، وجدنا أنفسنا مرارا و تكرارا في وضعيات يسهل فيها أن نفهم ما يعانیه الآخر و نتعاطف معه، و أن ندرك أننا نشترك معه في الهدف أو المصلحة، حتى و ان لم تربطنا به علاقة شخصية، و أننا نحتاج لبعضنا البعض لتحقيق أشياء ضرورية، و أننا حتى و إن لم نكن في موضع المحتاج قد نصبح كذلك في وقت لاحق، أي وجدنا أنفسنا مرارا و تكرارا في وضعيات جعلتنا نعطي حيزا أكبر للآخر في تفكيرنا و في حياتنا. أدركنا في زمن كورونا أننا نشترك المصير مع أشخاص كنا نعدهم غرباء عنا و أحسنا أننا و إياهم في نفس السفينة، و أدى ذلك، في لحظة تاريخية فريدة، الى وعي جماعي بانتماءاتنا و ارتباطنا، نتج عنه أن خرجت قدرتنا على الاكتراث بالآخر و التضامن معه من الدوائر المعتادة الى دوائر أوسع.

ما عشناه جراء هذه الجائحة كان فرصة جعلنا نلمس أهمية الصلة و الرابط الاجتماعي في حياتنا، وندرك أن التضامن و التعاون هما أقرب لطبيعتنا مما يتصور لنا، وجعلنا نغير تفكيرنا و سلوكياتنا، و ان كنا قمنا بذلك في أغلب الحالات مضطرين لا أبطالا. لكن، هل يتراجع كل هذا مع اعتيادنا على الوضع و يتلاشى كليا اذا ما مرت حدة هذه الازمة؟ لدينا فرصة غير مسبوقه لنعي بأهمية و ضرورة احياء الحس الجماعي فينا و القدرة التضامن و و التعاون لمواجهة تحديات عالمنا اليوم، فهل نلتقط الدرس، و هل نستفيد من الكارثة؟ تقول الكاتبة الأمريكية سولنيت، في كتابها الذي يرصد حجم التضامن و الأمل الذي يظهر في مواجهة الكوارث المفاجئة و الذي يعتمد على تحليل معطيات لخمس أمثلة من كوارث عاشتها الإنسانية :

‘ما يحدث في الكوارث ... يثبت لنا أن المواطنين المثاليين (الذين تحتاج اليهم أي جنة) - أي هؤلاء الاشخاص الشجعان بما فيه الكفاية، و القادرين على المواجهة و الاسخياء بما فيه الكفاية - موجودون بالفعل (...)

إذا نشأت الجنة وسط الجحيم ، فذلك بسبب أن تعليق العمل بالنظام المعتاد وفشل معظم الأجهزة القائمة يجعلنا أحرارا في أن نعيش ونتصرف بطريقة مختلفة’.

*Accounts of disaster...demonstrate that the citizens any paradise would need—
people who are brave enough, resourceful enough, and generous enough—already
exist(...) If paradise now arises in hell, it's because in the suspension of the
usual order and the failure of most systems, we are free to live and act another way*

المراجع

- Aguirre, B. E., D. Wenger, and G. Vigo. (1998). —A test of the emergent norm theory of collective behavior. *Sociological Forum*13: 301—320.
- Booth, R. Community aid groups set up across UK amid coronavirus crisis. *The Guardian* (2020).
- Dovidio, J. F., & Morris, W. N. (1975). Effects of stress and commonality of fate on helping behavior. *Journal of Personality and Social Psychology*, 31(1), 145.
- Drury, J. (2018) The role of social identity processes in mass emergency behaviour: An integrative review, *European Review of Social Psychology*, 29:1, 38-81, DOI: 10.1080/10463283.2018.1471948
- Drury,J.,Brown,R.,González,R.,& Miranda,D.(2016). Emergent social identity and observing social support predict social support provided by survivors in a disaster: Solidarity in the 2010 Chile earthquake. *European Journal of Social Psychology*, 46(2), 209-223.
- Koyama, S., Aida, J., Kawachi, I., Kondo, N., SV, S., Ito, K., ... & Osaka, K. (2014). Social support improves mental health among the victims relocated to temporary housing following the Great East Japan Earthquake and Tsunami. *The Tohoku journal of experimental medicine*, 234(3), 241-247
- Kaniasty, K., & Norris, F. H. (2004). Social support in the aftermath of disasters,catastrophes, and acts of terrorism: Altruistic, overwhelmed, uncertain, antagonistic, and patriotic communities. *Bioterrorism: Psychological and Public Health Interventions*, 3, 200-229.
- Kaniasty, K. (2012). Predicting social psychological well-being following trauma: The role of postdisaster social support. *Psychological Trauma*, 4, 22–33.
- Kaniasty, K., & Norris, F. (1999). The experience of disaster: Individuals and communities sharing trauma. In R. Gist & B. Lubin (Eds.), *Response to disaster: Psychosocial, community and ecological approaches* (pp. 25-61). Philadelphia, PA: Brunner/Mazel.
- Rabbie, J. M. (1963). Differential preference for companionship under threat. *The Journal of Abnormal and Social Psychology*, 67(6), 643–648. doi:10.1037/h0047743
- Solnit, Rebecca. 2009. *A Paradise Built in Hell: The Extraordinary Communities that Arise in Disaster*, 1st edition. New York: Viking Adult.
- Van Bavel, J. J., Baicker, K., Boggio, P. S., Capraro, V., Cichocka, A., Cikara, M., ... & Drury, J. (2020). Using social and behavioural science to support COVID-19 pandemic response. *Nature Human Behaviour*, 1-12.
- Warner, R. H., Wohl, M. J. A., & Branscombe, N. R. (2014). When do victim group members feel a moral obligation to help suffering others? *European Journal of Social Psychology*, 44, 231–241. doi:10.1002/ejsp.2010